

العلاقة الجدلية بين المستويات اللغوية والتواصل في ضوء اللسانيات الاجتماعية المعاصرة

د. عز الدين صحراوي
جامعة سطيف

Résumé :	الملخص :
Cette étude décrit le rôle de la langue d'un point sociolinguistique en tant que noyau central du savoir	تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تحليل وصفي لدور اللغة من منظور اللسانيات الاجتماعية بوصفها حلقة اهتمام لكثير من المعارف والتحقق من وظائف اللسانية لدى المتكلمين في المجتمع الجزائري.

حظي موضوع التواصل اللغوي بأهمية بالغة من قبل الدارسين في مجال العلوم التجريبية و الإنسانية، إلا أن هذا الاهتمام الذي لم يكن وليد الصدفة يكشف لنا عن حقيقة تكمن في أن الاتصال بوصفه مجالا علميا لم يعد مستقلا بذاته، بل محور ارتكاز يقصده الباحثون من تخصصات متعددة تدفعهم إلى ذلك مقاصد شتى واهتمامات متباينة ترتبط في معظمها بمجال اهتمامهم، مما يجعل من الصعوبة ربط هذه الدراسة بحقل معرفي محدد.

و الاتصال بمعناه العام عملية يتم بواسطتها نشر المعلومات بين أفراد الجماعة اللغوية وفق نظام لغوي ترميزي، وعبر قناة تصل المصدر المتلقي، و بهذا

عدت عملية الاتصال سبيلا للتعايش الاجتماعي وأساسا لتحقيق المساهمة في المعرفة الإنسانية حفاظا على الاستمرارية الحضارية.

ومن هنا نجد أن الاتصال يهدف إلى تحقيق التفاعل الاجتماعي في جميع أشكاله التي تفرضها العلاقات الاجتماعية، وتستدعيها الضرورة اليومية أو المعيشية للفرد والجماعة حين تعتمد التخاطب واستخدام اللغة المنطوقة أو المكتوبة كأدوات اتصال تشمل أنواع الاتصال الاجتماعي والثقافي المباشر وغير المباشر، حيث يلتقي الفرد مع باقي أفراد الجماعة اللغوية، فيتفاعل معهم : يبادلهم الحديث أو الحوار مشافهة أو من خلال المشاهدة أو التخاطب عبر واسطة معينة تسمح له بإقامة اتصال.

وهكذا يتحقق الاتصال بالطريقة التي تنتقل عبرها المعلومات والأفكار بين أفراد الجماعة اللغوية. كما "زيادة القدرة على التفاهم مع الآخرين، إذ اقترنت بالقابلية على التكيف والقدرة على الإبداع، وعلى الأداء و الإلقاء الفني البليغ، على بناء الشخصية الاجتماعية (1).

ويذهب ويلي وريس Willey and rice إلى أن التواصل يكمن في انتقال المعاني بين الأفراد "حيث يصبح بقاء الحياة الاجتماعية واستمرارها متوقفا على انتقال الرموز ذات المعنى و تبادلها بين الأفراد (2).

أما تشارلز كولي " Cooley. Ch " فإنه حاول أن يقدم تعريفا مماثلا رى فيه أن الاتصال هو : " ذلك الميكانيزم الذي من خلاله توجد العلاقات الإنسانية، وتنمو وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان واستمرارها عبر الزمان (3) وهي تتضمن كل النظم التواصلية اللغوية وغير اللغوية. " كما يرتبط الاتصال بنسق الإشارات والإيماءات والأنساق اللغوية، ارتباطا يكون متينا، إذ هي المجال الأساسي الذي تستقي منه عملية الاتصال رسائلها، و تفهم في ضوءها المعاني المختلفة " (4).

وإذا كانت جل الدراسات اللسانية التقليدية قد أولت أهمية لحركة الرسالة اللغوية بوصفها حدثًا مثيرًا، كما كانت تركز جهدها على الدور الذي يبذله المرسل لتتبع محتوى الرسالة ومضمونها. فإن بحوثًا معاصرة أعدت دراسات حول تأثير الاتصالات لتوضح في النهاية أن ليس هناك علاقة مباشرة وبسيطة بين الاتصال والتأثير.

فكانت الحاجة ماسة في المطالبة بتعديل المعالجة التقليدية التي كانت تركز الضوء على الفعل البسيط لعملية الاتصال من المرسل إلى المتلقي حيث لم تضع هذه الدراسات التقليدية في تصورهما العمليات التي تحدث في مجال التفاعل الاجتماعي و الذي يعتبر المرسل مجرد أحد مكونات تلك العملية الاتصالية. ذلك أن الاتصال اللغوي في أساسه عملية اجتماعية، لا تقف عند حدود استخدام المستويات اللغوية المكتوبة و المنطوقة فحسب، وإنما قد تتحقق أيضا من خلال مجموعة الأفعال المتعددة، حيث يتمكن بواسطتها الشخصان المتواصلان من بناء وتبادل معلوماتهما بسهولة ويسر.

و من هنا يتضح أن المجتمع هو الرقيب الذي يعود إليه الفرد في كل عملية تواصلية أي أنه هو الذي يحدد لأفراد الجماعة اللغوية الكيفيات غير اللغوية التي يتم عبرها الاتصال كما يمدّهم بالسياقات اللغوية المناسبة، التي تتطابق والمواقف التواصلية المختلفة، وهكذا يبادل أفراد الجماعة اللغوية معلومات محددة أقرها المجتمع وتواضع عليها، إذ يؤكد علماء اللسانيات الاجتماعية " أن الكلام يؤدي وظائف عديدة في التعامل الاجتماعي، حيث تتعدى وظائفه في المواقف الاجتماعية المختلفة، طبقا لطبيعة ونوع كل موقف، حيث يختلف الكلام الملائم لكل منها وفقا لذلك" ⁽⁵⁾. كما اهتم علماء اللسانيات المعاصرة بالتواصل بشقيه اللغوي و غير اللغوي اهتماما واضحا حتى أن هناك من اللسانيين مثل

دوسوسير : الذي أراد أن يخضع ما هو لساني إلى ما هو غير لساني إجمالاً، وذلك باعتبار التواصل اللغوي كثيراً ما يحتاج إلى وسائل مساعدة خارج ما هو لغوي، من خلال اعتماد حركاته، سلوكه، التقنن في إيقاعات كلامه بحواسه وأعضائه" (6). إلا أن اللغة تبقى المظهر الوحيد الذي يحقق هذا الغرض الإبلاغي بين الفرد وجماعته اللغوية من دون منازع.

فاللغة في استعمالها اليومي، أداة يتوصلها الإنسان لإتمام عملية التواصل بينه وبين أفراد بيئته، ولا تقتصر اللغة في الواقع على أداء عملية التواصل، إلا أن التواصل يبقى المظهر الإستعمالي الأساسي للغة. و يقتضي التواصل اللغوي نقل الدلالات و المعاني بواسطة الإشارات الصوتية. (7)

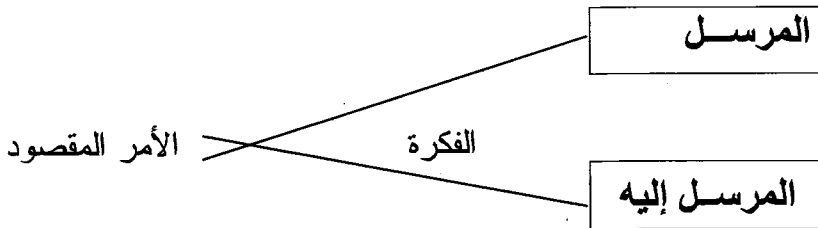
والواقع أن هذا المظهر التواصلية ما كان له أن يتحقق لولا ذلك الاتفاق المسبق القائم بين الجماعة اللغوية وهو ما يكمن في عرقية مكونات اللغة، و من ثم اكتسب نظامها الأساسي عبر الإقرار الذي تم بين أفراد الجماعة اللغوية فأصبحوا جزءاً من مكوناتها تتجلى في سلوكياتهم اللغوية. يقول فندريس: "إن اللغة مركب معقد يمس فروعاً من المعرفة، وهي فعل نفسي تستلزم نشاطاً إرادياً للعقل وهي فعل جماعي من ذاتها أنها استجابة لحاجة الإنسان واتصالاته، وهي في النهاية حقيقة حضارية تاريخية لا مرأى منها، تعثر عليها في صور متباينة و في عصور مختلفة بعيدة الاختلاف" (8).

واعتقاد بعض علماء اللسانيات الاجتماعية أن هذه الوظيفة أساسية بالنسبة للغة، لا يمنعنا من أن نعد الفرد هو آخر عناصرها أساسياً لا غنى عنه في إحداث عملية التواصل، مما سيؤدنا إلى الحديث عن علاقة الاتصال بالسلوك، فقد قيل أن كلام المرء أكثر أنواع نشاطه تعبيراً عن شخصيته.

فإذا أردنا أن نتعرف على نفسية شخص من الأشخاص ما علينا إلا أن نطالع ما كتب أو نستمع إليه حين يتحدث " ويعتمد هذا السلوك الإنساني على تبادلية

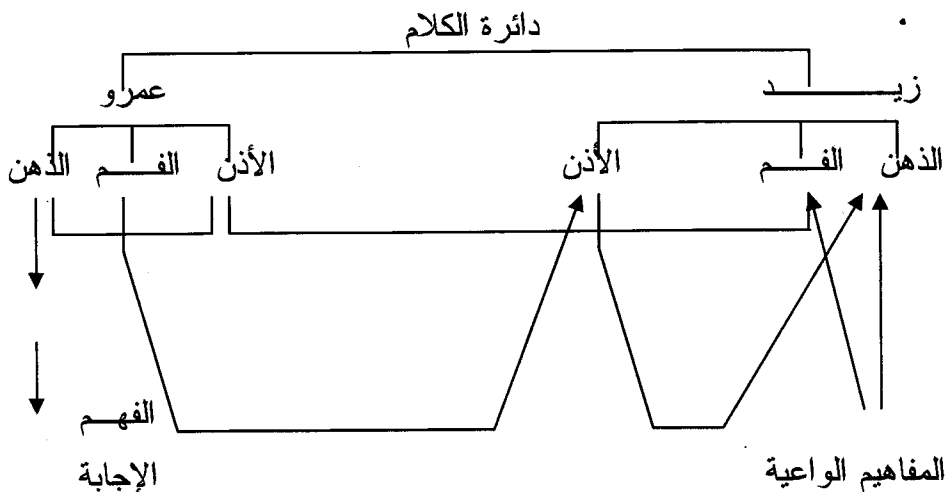
العلاقات المباشرة وجها لوجه، والتي تسمح بتطوير أنماط التنظيم العائلي والتعاون الاجتماعي⁽⁹⁾.

وقد تناول دوسوسير إشكالية التواصل بشيء من الإيضاح حين قدم مخططا لكيفية التواصل، يتشكل من عناصر أساسية هي المرسل والمرسل إليه، ومفاهيم دلالية متبادلة بينهما :

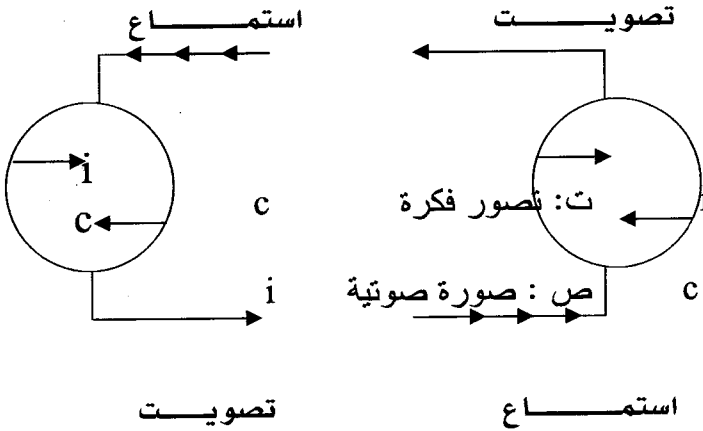


حيث ينحصر التواصل بين أفراد الجماعة اللغوية ضمن عملية التواصل اللغوي التي تتم بين أفرادها بفعل الأداء الكلامي الذي يعد المظهر الخارجي للغة. وقد عرف دوسوسير التواصل اللغوي: "بأنه حدث اجتماعي يلاحظ في الفعل الكلامي"⁽¹⁰⁾.

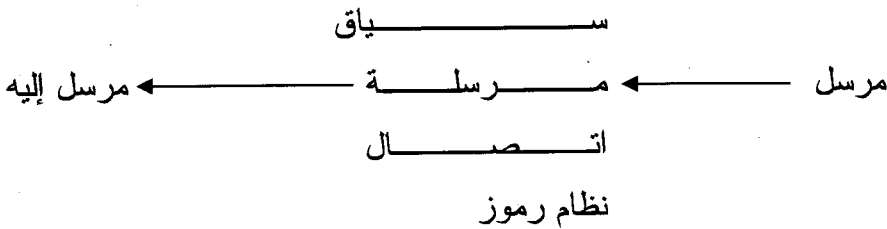
و لكي يتحقق ذلك التواصل اللغوي لابد من وجود عنصرين أساسيين هما المتكلم و المستمع و هو ما يوضحه الرسم الآتي: (11)



حيث يقوم التواصل بينهما (المتكلم و المستمع) تبعا لما سماه دوسوسير حلقة الكلام حسب الرسم البياني التالي (12)

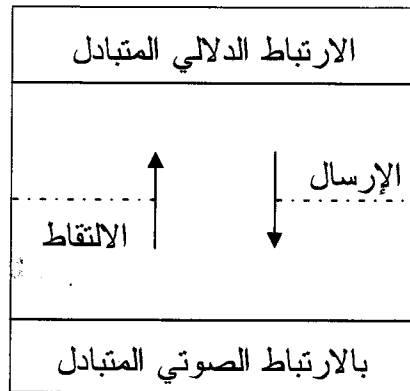


وقد لقيت نظرية دوسوسير قيمة علمية جديدة وظفها العلماء في مجالات متعددة وبخاصة جاكوبسون الذي استطاع أن يزاوج بين علماء الاتصال وتقنياتهم المبتكرة وما جاب به دوسوسير ليطور نظرية التواصل وأن يقدم لنا مفهوما آخر للتواصل أكثر تكاملا حول ما عرف عنده بوظائف اللغة والمتمثلة في الرسم البياني التالي (13)



وحتى تتحقق عملية التواصل بين الباحث والمتلقي فإنه لابد من ترابط دلالي يوافق ترابطا صوتيا وفق تواضع بينهما. "مما لاشك فيه أنه بالرغم من تباين دور المتكلم والمستمع، يرتبط الاستماع والتلفظ بعضهما ببعض من خلال

تعاملهما مع الإشارة الصوتية الواحدة. فيتوافق في الدماغ النطق بالأصوات المختلفة والانطباع السمعي الذي تلتقطه الأذنان نتيجة هذا النطق. نسمي هذا التوافق بين النطق والاستماع بالارتباط الصوتي المتبادل *Corrélation phonétique*، مع العلم أنه يبقى للتلفظ الأهمية الأساسية في مجال الالتقاط على النحو ذاته. ونسمي التوافق بين الدلالات في ذهن المستمع وفي ذهن المتكلم بالارتباط الدلالي المتبادل *Corrélation sémantique*⁽¹⁴⁾ و قد مثل لذلك بواسطة المخطط الآتي⁽¹⁵⁾



وبالأنظر إلى مخطط دوسوسير نجده لا ينهض بكل عملية من عمليات التخاطب، ولا سيما ما كان مرتبطا منها بالقاعدة الفيزيائية التي تساعد على تبليغ المرسل ونقل إشاراتها ونعني بها القناة فضلا عن السياق الدال على المقام أو الظروف المحيطة بالإبلاغ، واطراد القول من الماضي إلى الحاضر فالمستقبل، فإن اللسانيين يطمئنون أكثر إلى مخطط رومان جاكوبسون الشهير : " سياق التخاطب " ⁽¹⁶⁾ ويختلف الأفراد اختلافا كبيرا من حيث قدرتهم على الاتصال، فالفروق الفردية والاختلافات الثقافية والاستعداد تقف حائلا دون المشاركة المتساوية في ثقافة مجتمع معين. وإذا كانت اللغة تؤدي وظائف عدة :

"أ - تسعى إلى إشباع رغبات الفرد والتعبير عن أفكاره ومشاعره في المواقف الاجتماعية المختلفة.

ب- لا يقتصر دورها و وظيفتها على مجرد التعبير عما في النفس أو إبلاغ الآخرين عنه، بل تشمل أيضا استجابة المتلقين وما احتوت عليه من تعبير.

ج- تعطي اللغة شعورا بالانتماء لمجتمع المتحدثين بها.

د- تعتبر اللغة وسيلة لإبراز الفكر من حيز الكتمان إلى حيز الوجود.

هـ- تساعد اللغة الفرد على التكيف والتوافق الاجتماعي والنفسي مع الجماعة و المجتمع و غيره من الأفراد.

و- تعتبر اللغة الوسيلة الهامة في نقل الثقافة من جيل إلى آخر.

ز- تعتبر اللغة عماد التفكير الصامت والتأملي للإنسان و أداة ها الفكر في التعبير عما يجول في أعماقه " (17)

فإنها في المقابل " ليست إلا أثرا من آثار عقلية المجتمع ومن ثم فهي تعكس ثقافة هذا المجتمع " (18)

بينما يرى فيها صابير بأنها "طريقة إنسانية مكتسبة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام معين من الرموز، اختاره أفراد المجتمع و تعارفوا عليه " (19)

في حين يقول (فنك) : " لا يجب أن ننظر إلى اللغات إلا بوصفها آثارا معبرة عن عقل الشعوب، و لكي نقوم بدراسة دقيقة ينبغي ألا نبدأ من اللغة التي ليست إلا نتيجة، بل العقل الذي يخلق اللغة " (20) و قد صرح عالم الانثربولوجيا برونيسلاف مالينوفسكي Bronislaw Malinowski بـ : "أن اللغة في استخداماتها البدائية تقوم بدور حلقة في سلسلة الأنشطة الإنسانية المتألفة باعتبارها جزءا من السلوك الإنساني، فهي سلسلة من وسائل الفعل و ليس أداة للتأمل " (21)

ومن ثم فإن اللغة هي ذلك القاسم المشترك بين أفراد الجماعة اللغوية بوصفها النموذج المهيمن الذي لا يقبل النقيض أو المخالفة. يقول ادوارد صابير "E.Sapir": "إن اللغة هي التي تجعل مجتمعا ما يتصرف ويفكر بالطريق التي يتصرف و يفكر بها وأن ذلك المجتمع لا يستطيع رؤية العالم إلا من خلال لغته" (22).

إن هذه الأمثلة و كثيرا غيرها تشير بكل وضوح إلى أن تأثير عامل اللغة في تشكيل الهوية الجماعية لا يكاد يأبه بالاحتمية الجغرافية بل ويتجاوزها في كثير من المواقف مما يجعل المسافة تتلاشى عندما يتعلق الأمر بالشعور بالانتماء اللغوي. فالاعتراف بواقع العلاقة بين اللغة و المجتمع سيقود حتما إلى تداخل عنصر الالتزام بين الواقع الاجتماعي والتواصل اللغوي، من خلال تعميق المفاهيم اللغوية المجسدة في سياقها وفق تشكلها في أذهان المتكلمين وتداولها شعبيا و رسميا.

فهي في الوقت نفسه تسهم وبشكل فعال في تعزيز ثقة المتكلمين وتقودهم نحو التماسك الاجتماعي واللغوي، ولذلك فنحن نعتقد أيضا أن المجتمع يركز في أولوياته و استمراريته عن طريق عملية الانتقال أو التحويل من خلال تفاعل عاداته و تقاليده و أنماط تفكيره من خلال ما نسميه بالتفاعل الاجتماعي اللغوي. ذلك أن أصل اللغة يعود إلى الطبيعة الاجتماعية للفرد "ويرتبط وجود وظيفتها والتغيرات التي تطرأ عليها ارتباطا وثيقا بالبناءات الاجتماعية من جهة، وديناميكية العلاقات بين الأفراد والجماعات من جهة أخرى" (23).

ولكن يختلف الوضع كثيرا في المجتمعات المتحضرة، حيث تتعدد وتتوسع وتختلف الأدوار الاجتماعية، و بالتالي يوجد عدد من مستويات اللغة، كما يوجد أيضا أنماط للكلام تتناسب مع المسافات الجغرافية والخلفيات التعليمية والمهنية للأفراد ونتوقع نتيجة هذا التنوع في المستويات و وسائل التثقيف أن يكون هناك

اختلاف بين أفراد الجماعة اللغوية في كمية ونوع والمعرفة الثقافية ضمن المجتمع الواحد.

لذلك نرى أن الاختلاف اللغوي المجسد في واقعنا الآن يجعل الفرد غير قادر على الحديث بالطريقة ذاتها في كل المواقف الاجتماعية. "إن في نطاق استخدامك للغة التخاطب الشفهي مثلاً، ترى نفسك بعفوية ظاهرة، تنتقل من مستوى إلى مستوى أو من لغة إلى لغة أخرى من لغات السلم، سواء على صعيد المفردات أم على صعيد التراكيب. ويكون انتقالك أو تنقلك مرتبطاً بتغير المضمون الذي تجري به عباراتك أو تغير سياق المقام الذي يندرج فيه كلامك" (24) وعند مناقشة هذه القدرات و بخاصة قدرات الترميز و التفسير، لابد أن تردي اللغة دوراً هاماً بل "إن اللغة هي التي تحدد كفاءة هذه العمليات، حيث أن العنصر الضروري في نسق الاتصال يتمثل في التوافق والتناغم بين المرسل والمستقبل، إذ أنه دون وجود هذا التناغم تتعذر إمكانية التواصل" (25).

أما بالنسبة للمجتمع الجزائري، وبالرغم من الاعتراف بوجود لغة رسمية واحدة فإننا نلمس تعايش أكثر من نمط لغوي قد يستعمل حتى في المواقف الرسمية، مع العلم أن هذا التوزيع الوظيفي لم يكن بمنأى عن نوع من التداخل اللغوي، مما أسهم في خلق وضعية لغوية غير مستقرة.

كما أن الإبقاء على اللغة الفرنسية في مجالات رسمية دفع بكثير من الأفراد إلى الالتزام بمواقف لسانية محددة يركزون فيها دوماً على اختيارات لغوية، وبخاصة في المنظومة التربوية التي تتعرض إلى انتقادات؛ حيث أن اختيار اللغات - في الواقع الآن - غير مرضي، مما أدى إلى كثير من المواقف المتباينة بين مؤيد و معارض، وهو ما أحدث إرباكاً في المسار اللغوي داخل المؤسسات التعليمية.

إن هذه الانتقادات الموجهة نحو المؤسسة التعليمية وما له من صلة بواقع اللغة الفرنسية، لم يمنع من نشوء أزمة لغوية، أحدثت جدلا و ردود أفعال بين رؤيتين متناقضتين في الطروحات و المبررات.

و الواقع أن المتأمل في الوضعية اللغوية التعليمية يلمس ذلك التمزق اللغوي الذي أحدثته جراء انعدام الرؤية المستقبلية للتعليم، وهو ما يوحى بوجود تخطيط لغوي غير مستقر، حيث نجد تباينا بين ما هو نظري و الواقع الفعلي، ذلك أن الطالب لم يعد قادرا على اكتساب أو توظيف هذه اللغة، مما شكل عنده عبئا لغويا في عملية التحصيل، نتج عنه اضطراب لغوي، وانحطاط في درجة الاستيعاب و التوظيف.

وإذا كان هناك من يعتقد أن هذا الواقع اللغوي عاد ولا يثير قلقا، وأن ما يقال بين الفينة و الأخرى لا يخرج عن إطار أزمة مفتعلة ما زال يردددها أولئك الذي يريدون التوقع في واقع لغوي عفا عنه الزمن، وأن نظرتهم غير صائبة لا تتم عن إدراك منطقي وتصور مستقبلي للواقع الذي تقوم فيه العالم جراء هذا التطور العلمي المذهل، والذي لا مكان فيه إلا لمن يمتلك مقرة علمية و كفاءة عالية في التقنية المعرفية، وهذا لا يتأتى إلا من خلال التأقلم مع الواقع اللغوي العالمي، الذي هو مفتاح التقدم وعنصر أساسي لا يمكن الاستهانة به أو اعتباره عنصرا هدم للهوية الوطنية.

و في المقابل لا يمكن أن نتجاهل سلبيات هذا الواقع اللغوي و ما شكله من هدر لطاقات بشرية لا يستهان بها. و لعل أعقدها هذا التداخل بين المستويات اللغوية مما يزيد الوضع تأزما، فهناك على سبيل المثال هذا التداخل اللغوي لأشخاص لا يجيدون استخدام لفرنسية، تعترضهم أثناء حديثهم بالعامية ألفاظ فرنسية ولكنها محرفة وفق الطريقة الجزائرية، مع العلم أن هذا الاقتراض اللغوي يعود إلى مرحلة زمنية سابقة و ما يزال قائما.

إن النظام اللغوي في المجتمع الجزائري، يوحي بوجود أزمة لغوية معقدة، كان للمحيط الثقافي والاجتماعي أثره البارز في تكريسه وترخيصه، فإذا تأملنا الوسائل السمعية البصرية المرئية و المسموعة فإننا نجدها غير منسجمة لغوياً، حيث الصراع اللغوي بين الفرنسية و العربية على أشده.

كما نجد نسبة عالية من المجلات و الجرائد اليومية بالفرنسية تكرر واقعا ينعت دوما بالتبعية؛ حيث يتم نشر المعلومات الموجهة نحو المجتمع، عبر اللغتين العربية و الفرنسية. وأن هذه العادة اللغوية التي يمكن أن تتعت بالازدواجية اللغوية في وسائل الاتصال المرئية والمسموعة، تقدم في نظر البعض صورة مشبوهة للتواصل اللغوي السليم سواء بالعربية أو الفرنسية، حيث يعتقدون أن كليهما لا تستوعبان بطريقة جيدة دائما من قبل أفراد المجتمع الجزائري.

وإذا استثنينا الأفراد من ذوي المقدرة اللغوية الكافية فإننا نجد باقي أفراد المجتمع وبخاصة غير المتعلمين والذين لا يتحدثون إلا بالأمازيغية أو العامية، لن يكون باستطاعتهم قراءة وفهم ما يقال وما يكتب عبر هذه الوسائل التواصلية. وبهذا نجد أن المقدرة اللغوية المتمثلة في غياب الكفاءة اللغوية، تحد وبشكل واضح من قدرات الاستيعاب للخطاب الموجه عن طريق وسائل الاتصال وبخاصة المكتوبة، وهي تشكل شاهد إثبات يوميا لتعايش هذين النمطين اللغويين. ومن جهة أخرى هناك من القراء من يمتلك المقررة على استعمال مستويين لغويين بالتناوب أثناء الحديث الشفوي في العلاقات المباشرة. وهذا الخطاب المكون من أشكال لغوية متداخلة محكوم بسياقات محدودة، حيث نجد مجموعة من الألفاظ أو التعبيرات المستوحاة من المستويين، وقد تم تمثيلها في المستوى اللغوي الهدف مع ما طرأ عليها من تحويل صوتي يتناسب والمستوى الذي يستخدمونه.

فالمتكلم يزواج أحيانا بين أكثر من مستوى لغوي (العربية، الفرنسية، الأمازيغية) وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى تكوينه وتأثير اللغة الأم فيه. وإذا كان الواقع النظري يوحي بأنه بمقدور المتكلم بأن يوظف مستوى لغويا واحدا من دون حاجة إلى الاستعانة بنظام أو مستوى لغوي آخر، فإننا لاحظنا حالات أخرى كان فيها المتكلم بحاجة إلى الاستعانة بمستوى آخر وبخاصة الأمازيغية أو العامية في تحقيق تواصله. وهذا السلوك اللغوي كان قد أشار إليه "Weinreich Uriel" (26) في معرض حديثه عن هذا التداخل اللغوي (*)

إن هذه المماثلة لألفاظ فرنسية لاستعمالها في العامية من قبل المتكلمين، والذين لم يتلقوا الفرنسية في المدارس، يبين لنا قوة هيمنتها خلال المرحلة الاستعمارية، ومدى تجذرها في الثقافة الشعبية بشكل يوحي يصعب التخلص منها.

فلقد تأثرت لغتنا العربية باللغات المجاورة أو لغات المستعمرين الذين مروا بأرض العرب، فأخذت لغتنا من هذه اللغات وأثرت لغتنا بلغات المحتل، وأصبح هناك تبادل في المفردات اللغوية و هذا ما يعطي اللغة ألفاظا جديدة لم تكن معروفة من قبل في اللغة " (27)

إن هذا التأثير الذي أحدثته اللغة الوافدة لم يكن وليد الصدفة، بل كان متعمدا ومقصودا هدفه القضاء على هذه الذاكرة الجماعية وتحطيم ركائز المجتمع و في مقدمها هويته اللغوية.

وبالرغم مما قيل و يقال عن دور و وظيفة اللغة الوافدة في تفتيت المجتمعات فإن هناك من يرى، "المشكلة اللغوية ثانوية في سياق المسيرة الاستعمارية " (28) فأطماع الهيمنة اللغوية تتجاوز حدود اللغة إلى الاستحواذ على الوطن و من فيه. مع العلم أننا لسنا بصدد القيام بدراسة يالكتولوجية، بقدر ما نريد إثبات جدلية تنافس المستويات اللغوية. فالعامية أكثر المستويات التواصلية استعمالا في الحياة اليومية.

كما لا نستثني استعمال اللغة الفرنسية بشكل متقطع، خاصة إذا كان المتكلم المستمع تشكل عنده المرجعية الثقافية والعلمية مما يجعل استخدام العربية عنده أكثر صعوبة. والشيء ذاته قد نلمسه لدى المتكلم المستمع المعرب "وتزداد هذه الفروق بين مستويات اللغة كلما ازدادت الفوارق الاجتماعية والثقافية والزمانية والمكانية" (29)

وهكذا يمكن التفريق بين الأفراد من خلال الرجوع إلى استخداماتهم اللغوية ن حيث يبدووا عنصر المفاضلة قائما بينهما، كما تشكل اللغة عنصر بناء و هدم و تشتت لغوي ن يتولد عنه في كل مرة صراعا تنافسيا بين المستويات قد يؤثر سلبا أو إيجابا في بلورة أفكار وقناعات لدى كثير من فئات المجتمع حول موقفهم من الواقع اللغوي بكل أبعاده.

المراجع :

- 1- المعتوق أحمد محمد. 1996 : الحصيلة اللغوية، أهميتها، مصادرها،
ووسائل تنميتها. مجلة عالم المعرفة. عدد 212. أغسطس/آب. المجلس الوطني
للثقافة و الفنون و الآداب. الكويت. ص 62
- 2- عودة محمود. 1998 : أساليب الاتصال و التغيير الاجتماعي. دار المعرفة
الجامعية. الإسكندرية. ص 06.
- 3- Cooley. Ch. 1909 : social organization N.Y. Charles
Scribner's. Son .P 51.
- 4 - عودة محمود. 1998 : أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي . ص 22.
- 5- عفيفي السيد عبد الفتاح. 1995 : علم الاجتماع اللغوي . ص 21 .
- 6- مرتاض عبد الجليل. 2000 : اللغو و التواصل، دار هومة للطباعة
والنشر و التوزيع. الجزائر. ص 09.
- 7- زكرياء ميشال. 1983 : الألسنية (علم اللغو الحديث) المبادئ و الإعلام.
ص 47.
- 8- نقلا عن : وليد محمد مراد . 1986 : المسار الجديد في علم اللغة. مطبعة
الكواكب. دمشق. ص 47
- 9 - لوكمان توماس. 1987 : علم اجتماع اللغة. تعريب أبو بكر احمد قادر.
مطابع دار البلاد. جدة. السعودية. ط 1 . ص 12.
- 10 - إبراهيم عبد الله و آخرون. 1996 : معرفة الآخر : مدخل إلى المناهج
النقدية الحديثة. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ص 88.
- 11- المرجع نفسه. ص 89.
- 12- دو سوسير فردناند. 1984 : محاضرات في الألسنية العامة. ترجمة :
يوسف غازي و مجيد النصر. دار نعمان للثقافة. بيروت. ص 23

- 13- الطبال بركة فاطمة. 1993 : النظرية الألسنية عند جاكوبسون. المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع. بيروت. ص 65.
- 14 - زكرياء ميشال. 1983 : الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام. ص 49.
- 15- المرجع نفسه. ص 50.
- 16- نقلا عن : مرتاض عبد الجليل. اللغة و التواصل. ص 11.
- 17- عفيفي السيد عبد الفتاح. 1995 : علم الاجتماع اللغوي. ص.ص 20-21.
- 18- محمد حسن عبد العزيز. 1988 : مدخل إلى اللغة. ص 186.
- 19- نقلا عن : محمد عطية نوال. 1975 : علم النفس اللغوي.
- 20- نقلا عن: فندريس.ح.1985: اللغة. ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة. ص 199.
- 21- نقلا عن : هدسون.1990: علم اللغة الاجتماعي. ترجمة : محمود عياد. مراجعة حامد أبو زيد محمد أكرم سعد الدين. ص 172.
- 22 - نقلا عن : وليد محمد مراد. 1986 : المسار الجديد في علم اللغة. ص 39.
- 23 - لوكرمان توماس. 1987 : علم اجتماع اللغة. ص 11.
- 24- حاطوم أحمد. دن. : اللغة ليست عقلا . ص 279.
- 25- عودة محمود. 1998 : أساليب الاتصال و التغير الاجتماعي . ص 17.
- 26- Weinreich Uriel. 1968 : "Unilinguisme et Multilinguisme". in la langue allemande. paris. Pp650-651
- * - (Quand un individu ou un groupe, qui utilisent de façon normale ou une langue A ont l'occasion de faire l'acquisition d'une langue B, plusieurs solutions peuvent se présenter. / ... / il peut y avoir aussi selon les nécessités du moment, un usage

alterné de A et de B ; ou dira alors que les locuteurs commutent (to switch) entre A et B .

Enfin A et B peuvent s'amalgamer en un seul système .
Il n'est pas nécessaire d'interpréter le terme « système » dans le sens d'une langue envisagée de façon globale ; des substitutions entre systèmes distincts et dont le locuteur disposer en même temps et des amalgames peuvent être observés tout aussi bien dans aspects particulier des langues, par exemples : le vocabulaire, la grammaire, la phonologie, et même des parties fragmentaires de se derniers)

27 - حماد أحمد عبد الرحمان. 1983 : عوامل التطور اللغوي. دار الأندلس

للطباعة و النشر و التوزيع. بيروت. ص 188.

28- calvet. Jean Louis. 1974 : linguistique et colonialisme petite bibliothèque. payot. Paris .p11.

« Bien entendu le problème linguistique et un problème second dans le déroulement du processus colonel "

29 - عبد الصبور شاهين. 1984 : علم اللغة العامة. ص 163.